اللون في الأغراض الشعرية
(ابن زيدون وابن خفاجة)

د. علاء طالب عبدالله

كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف الخلق والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

جاءت دراستي لظاهرة اللون مرتبطة بما للون من أهمية كبيرة في حياتنا اليومية فاللون مفتاح للكشف عن قوى خفية غير مرئية بالنسبة لنا ودراسته تحيطنا بدائرة من الفهم والمعرفة فهو لغة عالمية نلمسها من شروق الشمس مروراً بوقت الظهيرة وغياب الشمس حتى مُنتصف الليل فكل هذه ألوان نشعر بها ونعيشها.

وحددتُ دراسة اللون هذه عند الشاعرين الأندلسيين ابن زيدون وابن خفاجة لأسباب متعددة منها التشابه في الظروف السياسية والإجتماعية التي مرا بها في بلاد الأندلس من سقوط وانحلال الواحدة تلو الأخرى بيد الأعداء فضلاً عن توافر اللون في ديوانهما بنسب كبيرة لاسيما ابن خفاجة.

وجاء اختياري للأدب الأندلسي موضوعاً للدراسة لأني وجدت فيه مايستهويني للخوض فيه من ذلك عناصره المختلفة وصوره المتنوعة ولاسيما صورة اللون المرتبطة بالطبيعة.

وتكمن الأهمية في هذه الدراسة في أنها تتجاوز الدراسات الوصفية الكثيرة التي تناولت الشعر الأندلسي ووجدتُ هذه الظاهرة في شعر الشاعرين حيث وظفوا شعرهم لهذه الظاهرة بحيث نخرج في النهاية بفكرة أشمل عن هذا الموضوع.

وقد تضمنت الدراسة دلالات الألوان في الأغراض الشعرية لكل من الشاعرين ابن زيدون وابن خفاجة.

واعتمدت في كتابة هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع وفي المقدمة منها ديوانا الشاعرين: ابن زيدون وابن خفاجة والكتب والأبحاث والدراسات التي اهتمت بدراسة الألوان.

وفي الختام لا أجزم أن هذا العمل خالٍ من الخطأ وأرجو أن استكملت جميع جوانبه فالكمال لله وحده والنقص والقصور من طبيعة البشر فإن أصبت فمن فضل الله وتوفيقه ونعمته وإن أخطأت فمن نفسي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللون والأغراض الشعرية

اللون والمديح:

المديح لغة: «هو نقيض الهجاء وهو حسن الثناء»[١].

«المدح هو مصدر ومدحه: أحسن الثناء إليه» نقيضه الهجاء[٢].

«ومدحه أثنى عليه بما له من الصفات»، و«امتدحت خاصرة الماشية:اتسعت شبعا، امتدح المكان، اتسع»[٣].

من هنا نستطيع القول إن المدح هو إظهار فضائل الممدوح، والثناء عليه، وتعريف الناس بصفاته ومكارمه، مما يجعل المدح تقديراً واحتراماً له ولمكانته.

وقد نظم شعراء العرب في كثير من الأغراض الشعرية منذ العصر الجاهلي، لكننا نجد غرض المديح يتبوأ الصدارة بين بقية الأغراض الأخرى، فهويعد من الأغراض الرئيسة، وذلك لكثرة تغني الشعراء العرب بالفضائل العربية من كرم وشجاعة، وحسن ضيافة، ودفاع عن الشرف والعِرض، فضلاً عن الدفاع عن قبائلهم وأحلافهم، ومدحهم للملوك والأمراء.

كان المدح في الجاهلية ينمازُ بالصدق والعفوية، فمعظم الشعراء نظموا قصائد بفضائل الممدوح سواء أكان فرداً أو جماعة، فضلاً عن إن قصائد المديح لم تكن مستقلة بذاتها بل كانت القصيدة تبدأ بمقدمة غزلية، ثم فخر ثم مديح، فلقد كان المديح جزءاً من القصيدة ولم يحصل على الاستقلالية إلا في العصور التي تلت العصر الجاهلي، وحصل على صفة أخرى وهي صفة التكسب فلقد أصبح الشعراء في تشبيهاتهم واستعاراتهم متصنعين حتى وصلوا إلى درجة الغلو[٤].

ويمكننا القول إن الرثاء هو نوع من أنواع المدح، فهو مدح للميت، وإظهارٌ لفضائله، ومن أشهر مداحي العصر الجاهلي: زهير بن أبي سلمى، النابغة الذبياني، الأعشى[٥].

أما غرض المديح في العصر الإسلامي، فلقد تحول عما كان عليه في الجاهلية من شعر في خدمة القبيلة إلى شعر في خدمة الدعوة الإسلامية ووسيلة لتأييد الدين، فضلاً عن تغنيه بالقيم الإسلامية التي جاءت لكي تحل محل القيم الجاهلية، وبهذا تغنى الشعراء

بمدح رسول الله ﷺ، ومدح قادة الفتوحات من شعراء المديح المشهورين في العصر الإسلامي: حسان بن ثابت، النابغة الجعدي، عبدالله بن رواحة(٦).

أما في العصر الأموي وفضلاً عن استعمال المدح كوسيلة لإذاعة المحامد والمآثر استُعمل لخدمة الأحزاب السياسية التي كثرت في ذلك العصر، إذ تفرق الناس إلى أحزابٍ وشيعٍ، بعضها للدين وبعضها للدنيا، وتسلح الشعراء لإعلاء شأن أحزابهم، وقد ذاع صيت بعض شعراء المدح في هذا العصر مثل: الأخطل، والفرزدق، والطرماح(٧).

وقد اختلف وضع الشعر في العصر العباسي عن بقية العصور السابقة حيث ضعفت واندثرت بعض الأغراض الشعرية مثل: الغزل العذري، والفخر، والحماسة، والشعر السياسي، وقُويَت أغراض أخرى منها المدح، حيث أصبح الشاعر بوقا للعظماء والملوك، يُعلي من شأنهم، ويذكر فضائلهم ويثني عليهم، وفي الوقت نفسه نراه يذود بلسانه عن الملك والقبيلة، ولقد زاد إقبال الشعراء على المدح لأنَّه كان باب رزق ولأنَّ الخلفاء كانوا بحاجة لهم(٨).

ومن جهة أخرى كان المدح في العصر العباسي تجسيما لأداة الحكم فقرب الخلفاء الشعراء منهم لإعلاء شأنهم وإطراء مجدهم فأجزلوا لهم العطاء، وتصويرا للفضائل التي كان يطلبها الشعب من حكامه، فلقد كان الشعراء يتخذون من المديح وسيلة لإيصال مطالب الشعب كما فعل أبو العتاهية في تصوير شكوى مريرة من غلاء الأسعار في إحدى مدائحه للرشيد(٩).

وما يزال الزمن يتقدم بنا حتى نلتقي بالعصر الأندلسي، إذ جاء المدح مشابهاً إلى حدٍ كبير للمدح في العصر العباسي، فقد قلّد الشعراء في الأندلس شعراء المشرق فكانت قصائد المدح لديهم تبدأ بالغزل، والخمر، ووصف الطبيعة ثم يبدأ بالغرض الرئيس المدح مثلا، وجاءت مدائحهم مملوءة بالتملق والاستجداء على غرار ما فعله العباسيون، وحينما انقسمت الأندلس على دويلات في عهد ملوك الطوائف انحاز كل شاعر إلى أمير أو ملك يمدحه، ومن أشهر شعراء المدح في الأندلس: ابن زيدون في مدحه لأبي الحزم بن جهور، وابن سهل الأندلسي، وابن دراج القسطلي(١٠).

وبهذا يأتي المدح في بعض الأحيان فيه تملق واستجداء من قبل الشعراء وهذا واضح في العصر العباسي والأندلسي، ولكن لا يمكن أن يخفى علينا أن شعر المديح هو

تصوير لبطولات الشعراء منذ العصر الجاهلي مرورا بالعصر الإسلامي حيث صور بطولات المسلمين، وفتوحات الإسلام العظيمة التي امتدت إلى الهند وأواسط آسيا إلى قرطبة في الأندلس، وصور أيضاً بطولات القادة والفاتحين في العصر العباسي(١١).

وقد اتصلت الطبيعة بغرض المديح في الأندلس اتصالا قويا فلقد كان الشاعر يمدح الملك أو الأمير عن طريق ربط صفات هذا الممدوح بالطبيعة أو الربط بين صفات الطبيعة وما يحبه الممدوح منها، وبهذا يكون أوسع خيالا وأكثر رقة، وجاء هذا واضحا في الربط بين ألوان الطبيعة وغرض المديح حيث أصبح شعراء المديح عندما يكتبون بغرض المديح يبدؤون بمقدمة طللية في وصف الطبيعة وبهذا يمزجون بين المدح والطبيعة من جهة، وبين الألوان وما تثيره في نفس الشاعر من تغيرات نفسية وجمالية من جهة أخرى(١٢).

وجاء استعمال وصف الطبيعة أو الغزل كمقدمة قبل الدخول في الغرض الرئيس وهو المدح واضحا في شعر ابن زيدون، إذ يقول في مدح المعتمد(١٣):

أهابت إليه بالقلوب محبة ... هي السحر للأهواء بل دونها السحر

سرت حيث لا تسري من الأنفس المنى ... ودبت دبيبا ليس يحسنه الخمر

مليك له منا النصيحة والهوى ... ومنه الأيادي البيض والنعم الخضر

مدح ابن زيدون المعتمد بعد توليه مقاليد الحكم بصورة طريفة إذ بيَّن مدى محبة الناس له فقال إن محبته دخلت القلوب بتأثير السحر فكأنهم سحروا به ولا يكتفي بذلك فإنه يتوغل ويصور دخول المحبة قلوب الناس كتأثير الخمر عليهم حينما يدب بالأجسام، فهو يصور هذه المحبة التي امتلكت النفوس وسلبت العقول، ويزيد إلى ذلك أن له الفضل على الناس في كثرة عطائه وكرمه وهذا واضح في قوله (الأيادي البيض، النعم الخضر) إذ جاء اللون الأبيض واللون الأخضر دليلاً على كثرة العطاء، ودليلاً على طهر الممدوح ونقائه، حيث استخدمت العرب اللون الأبيض (للكرم ونقاء العرض والطهر)(١٤).

ويأتي اللون الأخضر دليلاً على الخصب والرزق وهو لون النعيم(١٥). فأراد الشاعر أن يصف كثرة رزق الممدوح، وصولاً إلى كثرة عطائه وكرمه على الناس.

وقال أيضا في مدح المعتمد:

أغر إذا تجهم وجه دهرٍ ... تبلج فيه كالقمر الليـاح(١٦)

مدح ابن زيدون الخليفة بصورة مألوفة في الشعر العربي، فقام بتشبيهه بالقمر اللياح أي الشديد البياض والتلألؤ.

أراد أن الدهر إذا اظلم عليهم وتجهم بالسواد، وضاقت عليهم الدنيا ظهر وجه الخليفة مشرقا منيرا كالقمر، وهذا دليل على أن اللون الأبيض يستعمل وصفا للإشراق والإضاءة والأمل، وجاء اللون الأسود دالا على التجهم واليأس، فنلحظ أنه جمع بين لونين متضادين هما الأبيض والأسود.

وفي مدحه لأبي الحزم بن جهور يقول:

وإذا دعوت وليدهم لعظيمة لباك رقراق السماح أديبا

كالآس اخضر نظرة والورد أحمر بهجة والمسك أذفر طيبا[١٧]

أثنى ابن زيدون على ممدوحه بذكر محامده، فبدأ في مدحه بشيء من المبالغة في تلبية الوليد الصغير للدعوة في مجابهة المصاعب والأمور العظام، وبهذا أراد أن يبين أن بني جهور أقوياء وكرماء عظام، إذ اختار من الطبيعة وصفا له فقال: إنه كالآس الأخضر في نضارته وصفاته، وكحمرة الورد في بهجته، وطيب رائحته كرائحة المسك، فاستعمل ألوان الطبيعة النضرة بصورة بارعة (اللون الأخضر والأحمر) للوصول إلى قلب ممدوحه.

وقال أيضا في المدح[١٨]:

غمرتني لك الأيادي البيض نشب وافر وجاه عريض

وصف الشاعر الممدوح بكثرة كرمه وان نعمه من كثرتها تغمره، فاستعمل الأيادي بصيغة الجمع لملاءمتها الغمر والكثرة، ثم منح هذه الأيادي لونا وهو الأبيض الذي كما أسلفنا يقترن بالنقاء والصفاء، فهو مازال يسبغ عليه العطايا والأموال الوافرة.

أما ابن خفاجة فله قصائد مدح عدة، ظهرت فيها دلالات اللون واضحة بعد أن وظفها بصورة رائعة في خدمة هذا الغرض، كما قال في إحدى قصائده المدحية:

فيا رب وضاح المحاسن أشقر رميت به الهيجا وقد فغرت فما

وبحر صديد قد تلاطم أخضر إذا عصفت ريح الجلاد به طمى

أبى عز نفس أن يجول فيجتلى وأشرف هاد أن ينال فيلجما

جرى الحسن ماء فوقه غير أنه اذا ما جرى نار الغضا متضرما

عدا فاستنار البرق لونا وسرعة وغبر في وجه النهار فغيما
بيوم أراني البرق أحمر قانيا به واستطار النقع أربد أقتما
ترى الطرف منه كلما خاض هبوة محلا وتلقى الصارم العضب محرقا(١٩)

وهنا نلحظ أن معظم رحلات الشاعر إلى الممدوح كانت على فرسه، فقد وصف الفرس بصفات عدة بعد أن أضفى عليه مختلف النعوت، إذ وصف لنا في هذه الأبيات فرسه الوضاح الأشقر السريع الجميل الذي يثير الغبار، فهو يربط بين أوصاف الخيل وألوان و صفات الممدوح، وجاء هذا التصوير مشتقا من الطبيعة غاية في الجمال والروعة ووصف الفارس الذي يمتطي الخيل بأنه ممزق الجيب محطم الرمح لائذ الصبر متوسم في ممدوحه العون والنجدة والخير، وهو متقدم في صفات الفروسية والشجاعة، وأراد أن الفرس غيَّر حياة الشاعر كما الممدوح غير حياته فأصبح يمتلك القوة حتى رأى البرق أحمر، وصار الغبار بنظره شديدا غائما قاتم اللون، وهذا يدل على أن قربه من الممدوح يزيده قوة كما الفرس التي تشعره بالقوة، فجاء الانسجام بين لون البرق الأحمر ولون الغبار القاتم والقاني إذ كلاهما يدلان على القوة التي أحسها الشاعر.

وقال في المدح أيضا:

وغمامة نشرت جناح حمامة والبرق قد نسج الظلام نهارا
متألق صدع الدجى وسقى الثرى فأبيض ذا نورا وذا أنوارا
في أجرع خلف الربيع به ابنه كرما فأخصب ربوة وقرارا(٢٠)

قدم الشاعر لنا صورة فنية جميلة تمثلت بأرض سماؤها باكية وبروقها ضاحكة وأديمها كأنه حلة الربيع، كل ذلك ليقدم للممدوح ما فيه سحر أخاذ، وجمال خلاب، حتى أنه يأبى أن يبلغ ممدوحه صفر اليدين فتسمو به همته ليتدفق كرمه اذ لا أجمل ولا أثمن من كرم الفن والجمال، نرى أن الألوان جاءت قليلة في اللوحة الشعرية إلا أن براعة الشاعر تجعلنا نشعر بها، إذ تحدث عن الغمامة التي غطت سماء الارض وأضفى عليها اللون الاسود، وظهور البرق الذي يجعل الليل نهارا لشدة نوره فمزج بين اللونين الأسود والأبيض الذي هو لون البرق الذي ظهر وسط الظلام.

قال في مدح أبي اسحاق(٢١):

وحسبك من فلج لابيض واضحٌ يعيد ويبدي في المعالي فيبدع
ويا رب جيش للعدو كأنه عباب خضم قد طمى يتدفع
عرضت له والليث دونك جرأة فأجفل إجفال النعامة يجزع

جاء مدح الشاعر لأبي إسحاق عند محاصرته لحصن المؤريلة ويهنئه لتقلده الحكم في إشبيليه، إذ وصف نصره بأنه أبيض واضح لا يشوبه شيء، فاستعمل اللون الأبيض للوضوح والنقاء دليلاً على النصر الواضح على الأعداء.

وقال في مدح الفقيه أبا أُمية:

يسود أطرف اليراع وإنما يحمر سمر الخط حين يسود(٢٢)

وصف الشاعر ممدوحه حين يكتب فجاء باللون الأسود وهو لون المداد، وحين يقاتل يكسو رمحه وسيفه الدم فجاء استعمال اللون الأحمر لكثرة الدماء التي أسالها ولشدة الحرب، فجمع اللون المعتم وهو الأسود واللون الساخن وهو الأحمر، الأسود دلالة على سيلان المداد، والأحمر دلالة على سيلان الدماء التي سفكها.

اللون والرثاء:

الرثاء لغة: «رثأ رثى الميت ورثأتُ الرجل بعد موته مدحته ورثأت المرأة زوجها مدحته»(٢٣).

والرثاء: هو تعديد محاسن الميت(٢٤).

أمَّا الرثاء اصطلاحاً فهو بكاء الميت وتعديد محاسنه وصفاته نظرا لما يتمتع به من مكانة واعتبار بين أهله وذويه وأصدقائه.

منذ بدء الخليقة، شرع الإنسان يتهرب من الموت الذي لابد منه فحينما يسمع بموت أحد المقربين الأعزاء عليه، نراه يتوجع لهذا المصاب ويتألم بصرف النظر إن كان هذا الإنسان أمياً أو مثقفاً، غنياً أو فقيراً، أبيض أو أسود فيتأسف عليه ويبدأ بتعديد مزاياه حتى أن بعض الشعراء ندب خصمه كما فعل الأخطل في رثاء الفرزدق بعد ما كان بينهما من الهجاء الطويل الذي دام عشرات السنين(٢٥).

ولقد كان الشعراء في العصر الجاهلي يقفون كثيرا أمام هذه المأساة الإنسانية فكانوا يرثون أقاربهم وكل من يهتمون لأمره من ملوك وأمراء، فلقد كان الشعراء يعددون مزايا فقيدهم الخلقية ومكانته بين الناس، وكيفية موته وكثيرا ما كانوا يبالغون فيه(٢٦).

ودام هذا النوع من الرثاء في العصور التالية للعصر الجاهلي وإذا كان المدح أكثره تكسبا، فإن الرثاء كان أكثره صادقا إذ يصف الشاعر آلامه وأحاسيسه بالحزن لفقده الأحباء، وكما كان المدح للناس وللبلاد كذلك جاء الرثاء للمدن والحضارات البائدة وكذلك رثوا أنفسهم حينما كانوا يحسون إن ساعتهم قد دنت، وإن بعض الشعراء رثى الحيوانات كما فعل أبو نواس حينما رثى كلبه(٢٧).

ولقد كان من أخلاق العرب أنهم كانوا لا يرثون قتلى الحروب لأنهم ما خرجوا إلا ليُقتلوا فكان الرثاء عندهم لمن يموت حتف أنفه أو في موضع غير الحرب في هذه الحالة يعددون المآثر ويندبون الميت(٢٨).

ولم يكن غرض الرثاء حصرا على الشعراء فقط وإنما كانت الشاعرات يشاركن في الرثاء، وظهر لديهن الرثاء أكثر تأثيرا لأنهن اشجى قلوباً وأشد جزعاً، ومن أشهر الشواعر الخنساء التي رثت أخاها صخر(٢٩).

وبما أن الموت واحد في كل الأزمنة فإن الانفعال أمامه واحد وبهذا جاءت قصائد الرثاء متشابهة على مر العصور، باستثناء بعض القصائد التي دخلتها الفلسفة وهذا واضح في العصور المتأخرة، فضلاً عن ظهور نوع من الرثاء السياسي والمذهبي في العصر الأموي والعباسي.

أما في الأندلس فظهر نوع جديد من الرثاء تميزوا فيه من المشارقة وهو رثاء المدن والممالك الزائلة، حتى أنهم فاقوا شعراء المشرق في ذلك(٣٠).

ولقد كان شعراء الأندلس يُدخلون في رثائهم الألوان التي تعبر عن حالتهم النفسية التي يمرون بها ولم يقتصر الشاعر الأندلسي على اللون الأسود في الرثاء وإنما أدخل الألوان ذات البهجة أو الألوان الباردة كاللون الأبيض والأخضر، فضلاً عن استعماله الألوان الحرة كاللون الأحمر والأصفر، ووصف الشاعر الأندلسي الألوان في غرض الرثاء بصورة رائعة حتى نتج عن ذلك رثاء صادق في التعبير والتصوير.

وعلى غرار ذلك جاء شعر ابن زيدون وابن خفاجة في غرض الرثاء فقال ابن زيدون في رثاء المعتضد:

ألم تر أن الشمس قد ضمها القبر وأن قد كفانا فقدنا القمر البدر
وأنَّ الحيا أن أقلع صوبه فقد فاض للآمال في إثره البحر
فلا يتهن الكاشحون فما دجا لنا الليل إلا ريثما طلع الفجر(٣١)

رثى الشاعر الخليفة الراحل بصورة رائعة الجمال فلقد استمد من الطبيعة صوره، ولا سيما وأن الطبيعة في الأندلس اتصلت اتصالا قويا بالشعر فكانت تشارك الشاعر بأفراحه وأحزانه كما فعل ابن زيدون في تشبيه الخليفة بالشمس تارة وبالقمر تارة أخرى، فضلاً عن وصف نزول المطر الذي يدل على إحياء الأرض والناس.

بعد هذا الوصف توعد أعداء الخليفة أن لا يفرحوا بموته، وأنه سرعان ما ينجلي ظلام الليل الذي أضفى عليه اللون الأسود، ويطلع عليه الفجر الساطع الذي أضفى عليه اللون الأبيض،فاستعمل اللون الأسود للتعبير عن موت الخليفة، وعن الحزن الذي غمر قلوب الناس وكذلك جاء بتعبير فقدان الشمس والبدر دلالة حزنه على فقدان الخليفة وعلى سوداوية الدنيا وعتمتها من بعد فراقه، وجاء استعماله للون الأبيض والتعبيرين (القمر، البدر) دليلاً على أن هذه المترادفات النورانية دلت على ظهور الفجر بعد الظلام.

وقال في الرثاء أيضا:

لعمر البرود البيض في ذلك الثرى لقد أدرجت ثناؤها النعم الخضر
عليك من الله السلام تحية ينسمك الغفران ريحانها النظر
وعاهد ذاك اللحد عهد سحائب إذا استعبرت في تربة ابتسم الزهر
وأبيض في طي الصفيح كأنه صفيحة مأثور طلاقته الأثر
كأن لم تسر حمر المنايا تظلها إلى مهج الأقيال راياته الحمر(٣٢)

جاء في رثائه للمعتضد أن أدخل الطبيعة في هذا الرثاء واستعمل ألوانها، فأقسم بالثلوج البيضاء المتراكمة على التراب الذي وارى جثته، وزاد انه من بعد أن ضمه التراب انمحت كل عطاياه وتوقفت وشبه هذه العطايا (بالنعم الخضر) وفي البيت يبالغ في رثاء المعتضد فيقول إن له من الله التحية والسلام، وهنا يستعمل الطبيعة مرة ثانية بوصفه

أن المغفرة جاءته معطرة برائحة زكية وهي رائحة الأزهار، فضلاً أن لحده أخذ عهداً على نفسه كما عهدت السحب للأزهار أن تدر عليها المطر فتحييها وكذلك هو في عطاياه للناس.

وفي البيت الآخر يصف الحجر العريض الذي يوضع على القبر ويضفي عليه اللون الأبيض بأنه كالسيف الأبيض البراق المتوارث من ملك إلى آخر.

وأخيرا شبه سير الموت- وأضفى عليه اللون الأحمر دلالة على كثرة سفك الدماء- إلى مهج الاقيال أي قلوب الملوك والاقيال لقب لملوك اليمن، والرايات المرفوعة التي تسير إليهم أعطاها اللون الأحمر أيضا دلالة على القتل والثأر وسفك الدماء.

وبهذا نرى أنه وضف ألوان الطبيعة في خدمة غرضه بصورة غاية الروعة والجمال.

أما غرض الرثاء عند ابن خفاجة فجاء مشابها لرثاء ابن زيدون في إدخاله الطبيعة في التعبير عن رثائه للفقيد فقال ابن خفاجة:

في مثله من طارق الأرزاء جاد الجماد بعبرة حمراء
من كل قانية تسيل كأنها شهب تصوب من فروج سماء
تحمى فتغرق مقلة في حاجم منها وتحرق وجنة في ماء(٣٣)

من الواضح أن الشاعر يعتمد على الألوان في تصويره الحزين، فوصف رثاءه لقاضي القضاة وهذا المصاب الأليم الذي حل بهم بسبب موته، ويصف بكاء أمه حيث بكت عليه دما لا دمعا من شدة حزنها وحسرتها، وشبه الدموع التي تسيل منها كأنها شهبا غزيرة سقطت من السماء، وكذلك جاء تشبيهه للدموع بأنها محرقة كالجمر الشديد الاشتعال بسبب شدة لوعته وحزنه، فضلاً عن أن نزول الدموع على الخدين سبب حرقَتها.

وبهذا يكون قد استعمل اللون الأحمر للدموع الحارقة التي ذرفتها عليه أمه دلالة على حزنها ولوعتها.

وقال راثيا:

وإني إذا ما الليل جاء بفحمه لإوري زناد الهمِ فيها فأقدح
وأتبع طيب الذكر أنه موجع فينفح هذا حيث هاتيك تلفح

وألقى بياض الصبح يسود وحشة فأحسبني أمسي على حين أصبح[٣٤]

اختار الشاعر هنا في يومه الأسود (اللون الأسود) من دون ألوانه الأخرى تعبيرا عن حزنه على من يرثي، فجاء أن الليل حينما يظلم عليه يذكره بفاجعته ويشعل فيه جذوة المصيبة ويجعلها متجددة كلما انتهى النهار، وأنه كلما أخذته الذكرى إلى هذا الشخص يتوجع ويتألم وصور هذا الألم بأنه يحرقه كالنار التي تلفح الناس.

وفي تعبير لطيف جميل أحس شاعرنا باللون الأسود في بصيرته وليس في بصره، فصار يشعر أن اليوم على طوله أسود بسبب حزنه على من يرثي، ذلك لأنه أحس اللون ولم يره فحينما دخل عليه النهار لم يشعر بضوئه وبياضه بسبب رؤيته النفسية للسواد التي جعلت النهار ليلا.

وقال يرثي:

ومثلي يبكي للمصاب بمثله فإن أخلق الصبر الجميل فأخلق

فقد كان يوم الروع أبيض صارما بكفي ويوم الفخر تاجا بمفرقي[٣٥]

رثى ابن خفاجة الوزير أبا محمد فبكى عليه بكاءً حارا وانه تمزق من الحزن فلم يقدر على الصبر، ووصفه بأنه كالسيف الأبيض الصارم في أيام الحروب والفتن، وأنه كالتاج على الرأس في أثناء فخر الشاعر به، فجاء وصف الشاعر للوزير بأنه سيف في نقائه وصفائه وعدم تنازله عن الحق لما في اللون الأبيض من دلالة على الصفاء والنقاء.

اللون والغزل:

الغزل لغةً: «تغزل المرأة القطن والكتان وغيرهما تغزله غزلاً،ومغازلتهن وقد غازلها التغزل التكلف لذلك»[٣٦].

الغزل من أقدم الفنون الشعرية عند العرب وأكثرها شيوعاً لإنه متصل بطبيعة الإنسان وتجاربه الذاتية و طغى الغزل على معظم الفنون الشعرية لاسيما في القصائد الجاهلية مهما كان عنوانها فقد كانت القصيدة تبدأ بمقدمة غزلية أو طلليه يعبر فيها الشاعر عن لوعة فراق الأحبة والهجر والعذاب الذي أصابه، وفي أدبنا العربي احتل الغزل حيزاً كبيراً من الشعر في مختلف العصور ونظم فيه أكثر الشعراء.

والغزل اصطلاحاً هو «إلف النساء والتخلق بما يوافقهن»[٣٧] ويرسم الغزل صورة المرأة المثالية في صفاتها الخلقية بالشكل الذي تكون متصفة بأقصى صفات الجمال الأنثوي وأحلاها تحقيقاً لحضور كبير[٣٨].

وقد امتلأت حياة الشاعر الجاهلي بذكر المرأة لكثرة فراغه واتصال حياته بحياتها وكثرة الإنتقال والإرتحال ولشدة صونها والحرص عليها وكان كل شيء يذكره بها، فيقول لها الشعر وصفاً تشوقاً إليها[٣٩].

ولم يأتِ الغزل عند الجاهليين فناً مستقلاً بذاته ولكن له حق الصدارة يُستهل به ثم يُنتهى الى غيره[٤٠].

وقد جاء الغزل على نوعين: بدوي (عفيف) وفيه يحب الشاعر ويتغزل بصدق وعفوية وهو مقصور على امرأة واحدة ويكون هذا الحب مملوءاً بالعذاب واللوعة[٤١].

وعُرف هذا النوع من الغزل في بادية الحجاز وأطرافها أيام الأمويين وهذا الغزل كان يتحدث عما يُلاقيه المحب من عذاب وقد انتشر هذا الضرب من الغزل بصورة واسعة وكانت قصة قيس بن الملوح أحد المصادر الرئيسة لهذا النوع من الغزل[٤٢].

أما النوع الثاني من الغزل هو الماجن (الحضري) وهو غزل اباحي لا يقتصر على امرأة واحدة يذكر فيها الشاعر مغامراته مع النساء وقد كان الشاعر يتغزل بالفتاة العربية النسب وبعضهم يتغزل بالقيان كما فعل طرفة بن العبد في معلقته[٤٣].

أما في العصرالإسلامي فقد انحصر الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية لذلك لانجد الإفحاش والإباحة في الغزل والنسيب فقد كان حبهم عذرياً عفيفاً يقتصر على محبوبة واحدة أحبها الشاعر بصدق بإختصار الإسلام هَذّبَ الغزل في هذه الحقبة[٤٤].

ولما جاء العصر الأموي انصرف الناس الى اللهو والغناء وصار الشعر في خدمة هذه الأغراض وانتشر الغزل الماجن في تلك المرحلة، ومن أشهر شعراء هذا الضرب من الغزل عمر بن أبي ربيعة، وبهذا عاد الشعر الى ما كان عليه في الجاهلية[٤٥].

وكثُر في العصر الأموي الغزل الإباحي أو ما يُسمى بالغزل (العُمري) نسبة إلى عمر بن أبي ربيعة، وكذلك سُمّي بالغزل الحضري، لإنَّ شعراءه عاشوا في الحضر حياة مترفة، فجاءت الأوصاف مادية حسية غير وجدانية فالشاعر لا يقتصر على محبوبة

واحدة فتعدد في شعره أسماء النساء وهو دليل على عدم الصدق في العاطفة وعلى الميل الى اللهو والعبث ومن أشهر شعراء الغزل الحضري، عمر بن أبي ربيعة(٤٦).

وبعضهم قسم غرض الغزل على أربعة أقسام: «غزل إباحي، غزل عذري، غزل صناعي، غزل قصصي»(٤٧).

ويجب أن لا ننسى أن هذه الطبقة من الشعراء كانوا قد نظموا في هذا الضرب من الذي هُجر بعد شعراء الغزل الأمويين إذ لم يوجد إلا شعر قليل جداً يُعبر عن عاطفة حقيقية إذ كان الغزل في العادة نسيباً تُفتتح به القصائد(٤٨).

وكثُر غرض الغزل في العصر العباسي كَثرة مفرطة حتى يُقال أن أكثر الشعراء اعتنوا بالنظم فيه وهذه العناية أدت الى أن يزدهر ازدهاراً واسعاً، وقد مضى الغزل يجري في نفس التيارين اللذين كان عليهما في العصر الاموي وهما الغزل العفيف والغزل الصريح، ولكن كان التيار الثاني أكثر حدة وانتشاراً بسبب كثرة دور النخاسة وما كان يحتويه من قيان وإماء روميات وخُراسانيات وغيرهن من الجواري(٤٩).

ومن أمراء الشعر العباسي في المرحلة الثانية من هذا العصر أبو نواس وهو من أذاع القول في الخمر والكأس والغزل ووصف النساء(٥٠).

وكذلك كَثُر في العصر العباسي الغزل بالمذكر حتى غلب على ماسواه وهذا واضح في شعر ابي نواس والحصين بن الضحاك ووالبه بن الحباب والبحتري وغيرهم(٥١).

والى جانب هذا التيارنتحدث عن التيار الثاني وهو تيارالغزل العفيف ولكن مجراه أخذ يضيق بالقياس مع ماكان عليه في العصر الاموي ومن الطبيعي أن يضعف ويضيق هذا التيار في العصر العباسي الأول، لإنَّ شعراء هذا العصر قلما عرفوا العفة والطهر ولكن كان له شعراؤه المتخصِصين فيه منهم العباس بن الأحنف(٥٢).

وصولاً إلى شعر الغزل في الأندلس، فقد اهتم الشعراء بهذا الغرض لإنهم عاشوا حياة مترفة متأثرين بطبيعة بلدهم الجميلة إلا أنهم ساروا على خطوات المشارقة وقلدوهم في غزلهم ومختلف الأغراض الشعرية الأخرى وعُرف غزلهم برقة في المشاعر واعتمد على الزخرفة اللفظية وكذلك اسلوبهم معروف بالبساطة وعدم التكلف والغزل لم يقتصر عندهم على الشعراء فقط بل كان الملوك والأمراء ممن يقولون الغزل لإن

معظمهم كانوا من الشعراء. وقد ربط شعراء الأندلس الغزل بوصف الطبيعة فجاء غزلهم وجدانياً رقيقاً ومن أشهر الشعراء الذين وصفوا الطبيعة لهذا الغرض ابن زمرك، وابن زيدون، وابن حمديس، ويحيى الغزال وغيرهم(٥٣).

فقد تخير الشعراء الألفاظ السهلة والصور المدنية واللفتات الحضرية في أشعارهم فهم يتفقون مع القدماء على ضرورة استعمال الألفاظ السهلة والواضحة في غرض الغزل(٥٤).

ومن أشهر ما قال ابن زيدون في الغزل:

هذا الصباح على سُراكِ رقيبا فَصِلي بفَرعِك لَيلَكِ الغِربيبا
ولَدَيْكِ أمثالَ النجومِ قلائدٌ ألفت سَماءكِ لَبّةً وتريبا(٥٥)

أراد الشاعر أن يصف الصباح رقيباً على سير محبوبته ليلاً وشبه سواد شعرها بسواد الليل فجمع بين السوادين وهو شيء محبب ومن جماليات المرأة أن يكون شعرها أسود فإن العرب كانت تفضل أربع سوادات في المرأة كما ذكرنا مسبقاً وهي سواد عينيها وسواد أهدابها وسواد حاجبيها وسواد شعرها فجاء وصفه الشعر بالغربيب أي الأسود الحالك ووصف النجوم كأنها قلائد في صدرها.

وجاء قوله في الغزل:

ما للمدام تُديرُها عيناكِ فيميلُ في سُكرِ الصَّبَا عِطفاكِ
هَلاَ مَزَجْتِ لِعَاشِقِيكِ سُلافها بِبَرُودِ ظَلمِكِ أو بِعَذبِ لمَاكِ(٥٦)

شبه الشاعر في هذه القطعة الغزلية الخمر بسمرة شفاه محبوبته لما له من مشابهه في اللون واختار الخمر خصوصاً لما يبعثه من نشوة وارتياح فأراد أن تمزجه له بسمرة شفاهها وبريق أسنانها وهنا استعمل اللون الأسمر للشفاه لإن سمرة الشفاه من جماليات المرأة عند العرب.

وقال ايضاً في غزله بولادة بنت المستكفي:

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لِفقدكم أيامُنا فغدت سُوداً وكانت بكم بيضاً لياليناِ(٥٧)

وصف ابن زيدون حياته بعد فراق ولادة بالسوداوية والحزن والأسى وفقدان الصبر ووصف الأيام التي عاشها وهو بعيد عن محبوبته بأنها سوداء دليلاً على الحزن والأسى وأعطى اللون الأبيض لِأيام اللقاء لإنه دليل المحبة والقرب من الحبيب. وهذا الحب بين الشاعر وولادة بنت المستكفي ذاع وانتشر فقد هام بها ابن زيدون هياماً جعله يسلك في شعره الغزلي مسالك مستحدثة وجاء شعره أجمل مايكون في غزله من عتاب عذب وعاطفة مفرطة(٥٨).

ومن غزله قوله:

يا روضةً طالما أجْنَتْ لواحِظَنَا ورداً جلاهُ الصَّبا غضَّاً ونَسْرِينَا(٥٩)

شبه الشاعر محبوبته بالروضة المملوءة بالأزهار والأشجار والأطيار والثمار وأنه طالما جنى وقطف منها الورود التي تحملها له رياح الصبا مع أزهارالنسرين البيضاء اللون والمعروف أن وردة النسرين بيضاء اللون واستعمال الشاعر هذا اللون في هذه الأزهار دليل على ما في الأبيض من صفاء وإشراق وصدق في العلاقة.

أمّا ابن خفاجة فله قصائد غزل قليلة بالموازنة مع غرضي المدح والرثاء فيقول في إحداها:

وأغَرَّ يُسفرُ للعوالي والعُلى عن حُرَّ وجهٍ بالحياءِ مُلَثّمِ
يسري فيمسَحُ للدجى عن صفحةٍ غَرّاءَ تصدعُ كلَّ ليلٍ مُظلمِ(٦٠)

تغزل الشاعر هنا بوجه حبيبته فوصفه أنه أبيض ذو حسن فائق وأعطاها صفة التلثم ليدل على كثرة حيائها، وزاد أنَّ وجهها يمحو ظلام الليل وأنَّه كالصفحة البيضاء التي تظهر كل يوم في ليله المظلم فأضفى اللون الأبيض على محبوبته لإن البياض في البشرة من الأمور المحببة في المرأة.

وقال في مقطوعة غزلية أيضاً:

غزاليةُ الألحاظ ريميةُ الطُّلى مُداميةُ الألمى حبابيةُ الثّغْرِ
ترجع في موشيةٍ ذهبيةٍ كما اشتبكت زُهرُ النجوم على البدرِ(٦١)

قال واصفاً حبيبته بأنها كالغزالة والريم الخالصة البياض فشبهها بالغزالة البيضاء وذلك لدلالة اللون الأبيض على الجمال في بشرة المرأة. وبعد ذلك شبه شفتيها بلون المدام وهو لون الخمر الأسمر المائل إلى الحمرة، وزاد أنها جميلة الفم والأسنان

ووصف ثيابها المزركشة وأعطى زركشة الثياب لون النجوم حول البدر وهو اللون الذهبي الذي يُزين ثيابها دليل على أنَّ اللون الذهبي مما تتزين به النساء لإن الذهب هو زينة للمرأة.

وقال واصفاً نعجة سوداء:

فيا حُسن خَصَرٍ لها أحمَرٍ ومِئزرِ شحمٍ عليةٍ يَققْ
وما رَفَلَتْ في قميصِ الظلام ولا اشتملَتْ برداءِ الغَسَقْ
ولكن تسيلُ عليها القلوبُ هوىً وتذوبُ عليها الحَدَقْ[٦٢]

قال في غزله بنعجة سوداء أنَّ لها خِصراً أحمراً وشحمُ الخصر عند مئزرها أبيض واليقق الشديد البياض، وزاد إلى ذلك أنها لم ترتدِ ثياباً سوداً ولا اتخذت من غسق الليل رداء لها وأضاف أنها تأخذ القلوب حباً بهواها وتذوب العيون لرؤيتها وحسنها.

اللون والوصف:

الوصف لغةً: «وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفةً، والوصف وصف الشيء وتواصفوا الشيء من الوصف»[٦٣].

أمَّا الوصف اصطلاحاً فهو «شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعر به وهذا هو الأصل الذي جرى عليه أكثر العرب قديماً»[٦٤].

و«الوصف هو مما يلحق بالشعر الغنائي ولا نعني به تصوير الأشياء الوضعي بل ذاك النوع من الفن الذي يأخذ العاطفة من قلب الشاعر فيُسمي بها هيئات الموصوف وإشتهر امرؤ القيس بوصف الليل والمطر والجواد والبرق»[٦٥].

فقد أبصر الشاعر البدوي ما حوله من طبيعة صحراوية فوصف السماء وكل ما في البادية من حيوان ونبات وجماد وغيرها من مظاهر بيئية وحروب ومجالس لهو وأنس ووصف مظاهر الطبيعة من أمطار ورياح وصحو، ولم يكن الوصف عند الشاعر الجاهلي غاية وإنما كان يلجأ إليه كبرهان يدعم حججه أو وسيلة لتحريك الشعور وإثارة العواطف[٦٦].

ويعكس الوصف دقة العين الجاهلية في رسم تفاصيل الطبيعة فقد كان الوصف مادياً شبيهاً جداً بحياة الشعراء الجاهليين فقد كان عاجزاً عن التطور(٦٧).

وإنَّ الشاعر العربي كلما كان أعلم بأجزاء الموصوف وحالاته وأقدر على استقصاء هذا العلم في شعره كان أبلغ في الوصف وأولى بالتقديم فيه وأحسن ما يكون الوصف الصادق إذا خرج عن علم(٦٨).

ويُعد غرض الوصف أعظم ركن يعتمد عليه الشاعر فوصف البادية وما يُحيط بها من موصوفات ووصف مغامراته الغرامية ومعاركه وغزواته ووصف الملوك والأساطير التي انتقلت إليهم أو نشأت في باديتهم وذلك لسعة خيال الجاهليين(٦٩).

وكذلك وصفوا القتال وحصار المدن وفتحها وغير ذلك مما سبق ذكره آنفاً(٧٠).

أمّا في العصر الإسلامي فلم يتغير الوصف كثيراً عما كان عليه في العصر الجاهلي فقد ظل الشعر في مجمله قائماً على وصف الوقائع والأيام ووصفت المعاقل والحصون والات القتال وما الى دلك مما لم يكن للعرب عهد به(٧١).

ومن شعراء الوصف في العصر الإسلامي كعب بن زهير الذي تتجلى براعته في وصف الطبيعة والتأمل في جزئياتها وجاء شعره مشبعاً بالأوصاف التقليدية(٧٢).

وعندما نتتبع غرض الوصف في العصر الاموي نجد أنه تناول وصف المرأة بشكل واسع ونلاحظ غزارة المعاني الجاهلية في العصر الاموي فقد قلد الشعراء امرأ القيس تقليداًواسعاً ودارت أوصافه وتشبيهاته في دواوين معظم الشعراء الامويين ومن أشهر شعراء الوصف في العصر الاموي الأخطل، وذو الرمة(٧٣).

«ويُعد غرض الوصف هو نسيج للصورة الشعرية فهو فن واسلوب يدخل في موضوعات الشعر المختلفة وأغراضه ولايقتصر على الطبيعة وموجوداتها حسب بل يتعداه الى مظاهر الحياة المتعددة»(٧٤).

أمّا بالنسبة لغرض الوصف في العصرالعباسي «فقد زاد وصف الرياض والبساتين والقصور ومجالس الانس وأحوال الطبيعة ومصايد الوحوش والطير والسمك والامورالدقيقة»(٧٥).

وكان وصف الطبيعة في العصر الأندلسي نوعاً من الاحتذاء لبعض أشعار المشارقة ولكن الشعراء الأندلسيين تميزوا بالإكثار من وصف الأزهار والرياض والأنهار

فكانت طبيعتهم تُساعدهم في ذلك حتى أنَّ غرض وصف الطبيعة دخل في أغلب الأغراض الشعرية الأخرى كما فعل ابن زيدون في المزج بين الغزل ووصف الطبيعة وكذلك من شعراء الطبيعة ايضاً ابن خفاجة(٧٦).

«وقد كان جمال الطبيعة الأندلسية يسيطر على أخيلة الشعراء ويأخذ بألبابهم ولا يستطيعون التخلص من أسره المحبب، وتميز الشعرالأندلسي الوصفي بالمزج بين الوصف الوجداني والمادي»(٧٧).

ومن المقطوعات الشعرية الوصفية لإبن زيدون قوله في وصف دواء:

مُلْطِفٌ يُبْرِدُ المِزَاجَ إذ جاشَ التِهاباً ويَقْمَعُ الصّفرَاءَ(٧٨)

وصف الشاعر هنا دواء وجد به الفائدة فقال إنَّ هذا الدواء قهر الصفراء وهو مرض يصيب الإنسان ووصفه بالصفراء دليل على أن اللون الأصفر هو لون المرض والداء.

وقال أيضاً في وصف ليلة بهجة في بعض حدائق إشبيلية:

وليلٍ أدَمْنَا فيه شُرْبَ مُدامَةٍ إلى أنْ بدا للصّبْحِ في الليل تأثيرُ
وجاءت نجومُ الصبحِ تضرب في الدجى فَولت نجومُ الليل، والليل مقهور(٧٩)

وصف الليلة التي قضاها في اشبيلية بأنها ليلة طويلة قضاها بشرب الخمر حتى بدأت تباشير الصباح بالظهور فظهرت عليهم نجوم الصباح التي أضفى عليها اللون الأبيض لكي تمحو نجوم الليل فهُزم الليل أمام الصباح فجمع بين اللونين المتضادين وهما الأبيض والأسود.

قال في الوصف:

لدى راكدٍ يُصْبيكَ من صَفَحاته قواريرُ خُضر خِلتَها مُرّدت صرْحَا
مقاصِيرُ ملك أشرقت جَنَباتُها فَخِلْنا العِشاء الجَوْنَ أثناءها صُبحاً(٨٠)

يصف الشاعر هنا الماء الراكد في البركة وعلى جانبيه القوارير الخضراء اللون كأنه الصرح الممرد وزاد الى أنَّ ضياء المصابيح جعلت ليل العصر كضياء النهارمن شدتها.

أمّا ابن خفاجة فقال في وصف خاتم سماوي الفص:

ما إنّ تَرِفّ لها بنفسجةٌ بهِ حتى تَرِقَّ لها فتجري ماء

وكأنمـــا نظـــرت بـــه يـــوم النَّـــوى عـــن مُقلـــةٍ بَهِتـــت لهـــا كَحـــلاءَ[٨١]

أراد الشاعر هنا أنَّ لون الخاتم البنفسجي كأنه ماء يترقرق صفاء وجمـــالاً وزاد أنَّ فص هذا الخاتم متميز جداً كأنه الحبيب الذي يصعب فراقه.

وقال أيضاً في وصف الليل والنجوم:

ولَثمـــتُ فـــي ظلمـــاء ليلـــة وفـــرةٍ شـــفقاً هنـــاك لِوجنـــةٍ حمـــراءِ

والليـــل مشـــمطُّ الـــذّوائب كبـــرةً خَرِفٌ يـــدبّ علـــى عصـــا الجـــوزاء[٨٢]

شبه الشاعر لون الشفق بلون وجنة المرأة فجمع بينهما باللون الأحمر ووصـــف الليل بأنه مختلط بين بياض النهار وسواد الليل بلون زاهٍ أخاذ فشبهه بأنه رجـــل خـــرف كبير السن اختلط الشيب بسواد شعره وأصبح واهن العظم وزاد أنَّ هذا الشيخ يسير على عصا خائفاً ثقيلاً.

وقال واصفاً الخمر:

وشَـــربتُها عَـــذراءَ تَحســـبُ أنهـــا معصـــورةٌ مـــن وجنتـــي عـــذراءِ

حمـــراءُ صـــافيةٌ تطيـــبُ بنفســـها وغِنائهـــا وخلائـــق النـــدماء[٨٣]

وصف الشاعر الخمر بأنه كوجنتي عذراء فأعطى لها اللون الأحمـــر الصـــافي الذي يجمع بين الخمر ووجنة المرأة.

وقال أيضاً:

وأســـودٍ عَـــنّ لنـــا ســـابحٍ فـــي لُجـــةٍ تطفـــحُ بيضـــاءِ

وإنمـــا جـــال بهـــا نـــاظرٌ فـــي مقلـــةٍ تنظـــر زرقـــاء[٨٤]

ال في وصف العين أنَّ سوادها يشبه ما في الماء وزرقتها هي ما حولها فالعين سابحة في لجةٍ زرقاء.

اللون والقسم:

ملكت الألوان ببهجتها وارتباطها بطبيعة الشاعر الأندلسي في الرياض وما تحويه من أزهار وأنهار وأشجار فدخلت إلى روحه فصار يتصورها وهو يتغزل ويمدح

ويهجو ويرثي فقد تغلغلت برمزيتها في نفسه حتى راح يُقسم بها فهي دليل جمالي ونفسي على صدق ما تدعيه نفسه التوّاقة للجمال(٨٥).

ونجد أنَّ القسم بالألوان من الأمور التي إستعملها الشاعران ابن زيدون وابن خفاجة فإستعمل ابن زيدون القسم للدلالة على الإتجاه الديني والروحي في تعزيته لأبي الوليد بن جهور في أمه فقال:

لعمرُ البرود البيضِ في ذلك الثرى لقد أدرجت أثناءها النِّعمُ الخضرُ
عليها سلامُ الله تترى تحيةً يُنسِّمُها الغفرانَ ريحانُها النّظرُ(٨٦)

استعمل الشاعر هنا القسم المتمثل في لونين هما (الأبيض والأخضر) فيُقسم بأكثرهما بهجة وصراحة واللون الثاني دلّ على جو روحاني متمثل بالجنة فاتخذ اللون هنا بعداً إيمانياً يُكسب منطقية القسم عرفاناً بخالق الألوان جلّ شأنه فهو يُقسم ببياض برود الكفن الذي جعله الله لوناً للصفاء والطهر بالنسبة لأحياء المسلمين وأمواتهم وبعد ذلك جاء باللون الأخضر كتلوين نفسي مرتبط بأم الوليد بن جهور التي أضفى عليها صفة النعمة الخضراء لما كان لها من باع طويل في العطاء والكرم وكثرة الهبات فإستعمل الشاعر القسم كجواب يتناسب مع روحانية اللون الأخضر وارتباطه بالجنة والنعيم وصفاء اللون الأبيض.

أمَّا بالنسبة لابن خفاجة فقد استعمل القسم للكشف عن احساسه بالجمال وذوقه فيه وانسجامه معه فقال متغزلاً:

أما وبياض الثغر في سُمرة اللّمى وحُسنِ مجال السِّحر في فترة الطَّرفِ
لئن كنتَ بدرَ التَّمِّ حُسناً ورفعةً فإنَّ دموع الصَّبِّ من أنجمِ القَذفِ(٨٧)

نلحظ أنَّ شاعرنا ابن خفاجة لم يجد أجمل وأكثر إنسجاما من الألوان كي يُعبر عما في داخله من أحاسيس الحب والعشق والهيام ليُقسم بها فيصف أسنان محبوبته البيضاء اللون التي ببياضها الناصع تكشف عن سمرة الشفاه اللمياء الجميلة التي تميل إلى الحمرة وهو شيء محبب في المرأة فهو يُزيدها جمالاً ورونقاً ويأتي بعد هذا الوصف القسم الذي يُظهر ضعف المحب أمام قسوة جمال المحبوبة التي اجتمع فيها الحسن المتمثل في بياض الأسنان وسُمرة الشفاه فمحبوبته بالنسبة له كالبدر في تمامه فأعطاها منزلة السمو والرفعة التي يُقابلها هو بدموعه المنهمرة من عيونه وكأنها أنجم القذف التي يتمنى

أن يصل بهذه الدموع إليها فنجد الشاعر في هذين البيتين إستعمل القسم ليُعبر عن روح العاشق فجاء بلوحة جميلة جمع فيها بين الإحساس المرهف بالحب والعشق من جهة والألوان وتناسقها في وجه المحبوبة من جهة أخرى.

الخاتمة

بعد المضي في هذا البحث لابد من تلخيص أبرز ما عُرض فيه من قضايا والنتائج التي توصلتُ إليها:

١. إنَّ للون أهمية كبيرة في الشعر العربي عامة وشعر ابن زيدون وابن خفاجة خاصة.
٢. يُعد اللون من الظواهر المهمة المرتبطة بصورة مباشرة بحياة الإنسان اليومية منذ بدء الخليقة.
٣. للون تأثير نفسي مباشر على الإنسان سواء في تفضيل الإنسان لألوان معينة وإستخدامها بكثرة وبغضه لألوان أُخرى.
٤. كان من الجيد إختيار ديوان ابن زيدون وابن خفاجة لتطبيق شيوع ظاهرة اللون لديهما لأنهما شاعران مكثران من ألفاظ اللون لاسيما ابن خفاجة فإستخدم اللون بنسبة كبيرة مقارنة مع ابن زيدون.
٥. لم يفرد الشاعران قصائد مستقلة وخاصة لشعر اللون وإنما جاء من ضمن القصائد وبأغراض متعددة ومتنوعة الموضوعات.
٦. اتفق الشاعران في إستعانتهما بالصور البيانية من تشبيه وكناية واستعارة في رسم صورهما اللونية والملاحظ كثرة التشبيه على بقية الصور البيانية.
٧. إعتمد كل منهما في رسم صورته الشعرية اللونية على المجاز وذلك لما كان من واقع حياتهما من أثر عليهما وعناصر الطبيعة وتأثيرها الأكبر عليهما التي أعانتهما في رسم الصور الشعرية.
٨. جاءت لغة الشاعرين في ظاهرة اللون سهلة جميلة انسجمت مع حضارة عصر كل منهما وبيئته وظروفه التي مرَّ بها كذلك حرصا على استخدام المحسنات البديعية.
٩. أجاد كل منهما في صياغة تراكيبه اللغوية من خلال استخدامه للأساليب الطلبية والإنشائية وحسن توظيف المفردة اللغوية داخل تلك التراكيب.

١٠.عبر الشاعران عن مشاعرهما وأحاسيسهما والعواطف التي كانت تنتابهما من خلال اللون المتمثل في الصور الشعرية اللونية.

١١.اتضح لي نجاح الشاعرين في إستخدام الألوان وتوظيفها في الأغراض الشعرية من حيث العاطفة منها الحزينة المتمثلة في غرض الرثاء ومنها المبهجة المتمثلة في غرض الغزل والمدح فضلاً عن إستخدامهما اللون في غرض الوصف.

١٢.توسع ابن خفاجة في ذكر صفات وألفاظ الألوان بنسبة أكبر من إستخدام ابن زيدون لهذه الصفات والألفاظ.

١٣.لم يخرج الشاعرين في تنظيمهما لشعرهما سيما شعر اللون عن أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي مطلقاً ولكنهما لم يُنظما على جميعها.

١٤.تمتع كل من الشاعرين بعاطفة قوية وصادقة ومتنوعة تضمنت ظاهرة اللون في الرثاء أو الغزل أو الحنين.

١٥.كشف البحث عن قوة خيال ابن خفاجة في وصف الطبيعة ومظاهر اللون فيها وهذا الشيء طغى على شعره أكثر من ابن زيدون.

هوامش البحث

(١) لسان العرب: الأمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٧٤هـ: مادة مدح، ج٢، ص٥٨٩.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبو الفضل السيد محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، دار الفكر: ج٧، ص١١١.

(٣) المعجم الوسيط: مَجمع اللغة العربية، شوقي ضيف، ط٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مطبعة الشروق: ص٨٥٧.

(٤) ينظر: موسوعة روائع الشعر العربي، المديح في الشعر العربي سراج الدين محمد، دار راتب الجامعية، لبنان: ص٦، ج٢، تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري: ص٦٠، تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٩: ص٢١٥.

(٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المكتبة البولسية، بيروت- لبنان، ط٨: ص٦٠-٦١.

(٦) يُنظر: تاريخ الادب العربي، حنا الفاخوري: ص٢١٩.

(٧) يُنظر: تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، مكتبة الصفاء، أبو ظبي، مكتبة اليمامة، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م: ص١١٢.

(٨) يُنظر: تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري: ص٣٦٣-٣٦٤، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط٣: ص٢٩٢، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي- العصر العباسي، حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ط١٤: ج٣، ص٣٦٦.

(٩) يُنظر: الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢: ص٦٣، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ط١: ص١٥٨.

(١٠) ينظر: موسوعة روائع الشعر العربي، المديح في الشعر العربي: ج٢، ص٦٦.

(١١) ينظر: في التراث والشعر واللغة، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة: ص١١١.

(١٢) ينظر: صورة اللون في الشعر الأندلسي- دراسة دلالية وفنية، حافظ المغربي، دار المناهل، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، ط١: ص٢٥٨.

(١٣) ديوان ابن زيدون، شرح: د.عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت- لبنان: ص٨٩.

(١٤) اللغة واللون، أحمد مختار عمر، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ط١: ص٤١.

(١٥) يُنظر: مفهوم اللون ودلالاته في الدراسات التاريخية: ص٣٠.

(١٦) ديوان ابن زيدون: ص٥٠. والليلاح هو الأبيض من كل شيء، أي الأبيض المتلألىء، يُنظر: تاج العروس: ج٧، ص١٠٥.

(١٧) ديوان ابن زيدون: ص٢٥.

(١٨) ديوان ابن زيدون: ص١٢٣.

(١٩) ديوان ابن خفاجة، تحقيق: عبدالله سنده، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ط١: ص٢٧٣.

(٢٠) ديوان ابن خفاجة: ص١٦٤.

(٢١) نفسه: ص١٩٧.

(٢٢) نفسه: ص١٠١.

(٢٣) تاج العروس: مادة رثى، ج١، ص٢٣٩.

(٢٤) ينظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م: ص٢٥٥.

(٢٥) ينظر: موسوعة روائع الشعر العربي، الرثاء في الشعر العربي: ص٥-٦.

(٢٦) ينظر: ادباء العرب في الجاهلية وصدرالاسلام، بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٥٣م، ط٦: ص٧٣.

(٢٧) ينظر: موسوعة روائع الشعر العربي، الرثاء في الشعر العربي: ص٦.

(٢٨) ينظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ط١: ج٣، ص٨١.

(٢٩) ينظر: الشعر الجاهلي،نشأته فنونه صفاته، فؤاد البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، ١٩٢٧م: ص٢٤.

(٣٠) ينظر: موسوعة روائع الشعر العربي: ص٦.

(٣١) ديوان ابن زيدون: ص٨.

(٣٢) ديوان ابن زيدون: ص٨.

(٣٣) ديوان ابن خفاجة: ص٢١.

(٣٤) المصدر نفسه: ص٨٤.

(٣٥) ديوان ابن خفاجة: ص٢٢٦.

(٣٦) لسان العرب: مادة غزل: ج١١، ص٤٩١- ٤٩٢.

(٣٧) النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأته وتطوره، د.محمد مرتاض، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م: ص١٦٤.

(٣٨) يُنظر: مقومات عمود الشعر، الإسلوبية في النظرية والتطبيق، د.رحمن غركان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤م: ص٤٧-٤٨.

(٣٩) يُنظر: تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري: ص٦١.

(٤٠) يُنظر: ادباء العرب في الجاهلية وصدرالإسلام (حياتهم- اثارهم- نقد اثارهم): ص٧٩.

(٤١) يُنظر: موسوعة روائع الشعر العربي، الغزل في الشعر العربي: مج٤، ص٨.

(٤٢) يُنظر: مُؤثرات عربية واسلامية في الأدب الروسي، د.مكارم الغمري، سلسلة كتب ثقافية، ١٩٩١م: ص٩٢.

(٤٣) يُنظر: موسوعة روائع الشعر العربي: ص١٩.

(٤٤) يُنظر: تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري: ص٢١٩، يُنظر: تاريخ الإسلام والمسلمين في العصر الاموي، مجدي فتحي السيد، دار الصحافة للتراث، طنطا، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م: ص٣٢٥.

(٤٥) يُنظر: موسوعة روائع الشعر العربي: ص٢٠.

(٤٦) نفسه: ص٢٠.

(٤٧) عصر المأمون، أحمد فريد رفاعي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٤٦هـ/ ١٩٧٢م: مج٢، ص٦٣.

(٤٨) يُنظر: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، د.شكري محمد عياد، سلسلة كتب ثقافية، ١٩٩٣م.

(٤٩) يُنظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف: ص٣٧٠.

(٥٠) يُنظر: تاريخ العصرالعباسي، د.أمينة بيطار، منشورات جامعة دمشق، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ط٤: ص٣٨٩- ٣٩٠.

(٥١) يُنظر: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه: ص٢١١.

(٥٢) يُنظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول: ص٣٧١.

(٥٣) يُنظر: موسوعة روائع الشعر العربي، الغزل في الشعر العربي: ص٦٥.

(٥٤) يُنظر: الحنين والغربة في الشعر الأندلسي عصر سيادة غرناطة (٦٣٥/٨٩٧هـ)، مها روحي إبراهيم الخليلي، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٧م: ص١٣٨.

(٥٥) ديوان ابن زيدون: ص٢٣.

(٥٦) ديوان ابن زيدون: ص١٦٦.

(٥٧) ديوان ابن زيدون: ص٢٢٦.

(٥٨) يُنظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، د.مصطفى الشكعة، دارالعلم للملايين، لبنان، آذار- مارس ٢٠٠٨، ط١٢: ص١٨٩.

(٥٩) ديوان ابن زيدون: ص٢٢٧.

(٦٠) ديوان ابن خفاجة: ص٢٦٨.

(٦١) ديوان ابن خفاجة: ص١٤٤.

(٦٢) ديوان ابن خفاجة: ص٢١٠.

(٦٣) لسان العرب: مادة وصف: ج٩، ص٣٥٦.

(٦٤) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه: ص٤٠.

(٦٥) الشعر الجاهلي (نشأته- فنونه- صفاته): ص٢٣.

(٦٦) يُنظر: العرب في العصر الجاهلي، د.ديزيرة سقال ، دار الصداقة العربية، بيروت لبنان، ١٩٩٥م، ط١: ص١٣٥-١٣٦.

(٦٧) يُنظر: تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري: ص٦٠.

(٦٨) يُنظر: تاريخ آداب العرب: ج٢، ص١١٠.

(٦٩) يُنظر: ادباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (حياتهم- اثارهم- نقد اثارهم): ص٤٨-٤٩، الإنتماء في الشعر الجاهلي، فاروق أحمد أسليم، منشورات إتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م: ص٢٧٥.

(٧٠) يُنظر: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه: ص١٢١.

(٧١) يُنظر: تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري: ص٢١٩-٢٢٠.

(٧٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص٢٢٧.

(٧٣) يُنظر: المرأة في الشعرالأموي، فاطمة تجور، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩م: ص٢٩٧.

(٧٤) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، د.صاحب خليل إبراهيم، (د.ط)، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م: ص٢٦٢.

(٧٥) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه: ص٢١١.

(٧٦) يُنظر: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت – لبنان)، ١٩٦٢م، ط١: ص١٩٣، ص٢٠٢.

(٧٧) التجديد في الأدب الأندلسي: ص٣٥-٣٦.

(٧٨) ديوان ابن زيدون: ص٢١.
(٧٩) ديوان ابن زيدون: ص٩٦.
(٨٠) ديوان ابن زيدون: ص٤٨.
(٨١) ديوان ابن خفاجة: ص١٠.
(٨٢) ديوان ابن خفاجة: ص١١.
(٨٣) ديوان ابن خفاجة: ص١٣.
(٨٤) المصدر نفسه: ص١٤.
(٨٥) يُنظر: صورة اللون في الشعر الأندلسي: ص٢٩٣.
(٨٦) ديوان ابن زيدون: ص٨٤.
(٨٧) ديوان ابن خفاجة: ص٢٠٦.

قائمة المصادر

١. الآداب العربية في العصر العباسي الأول: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٢. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: د. مصطفى الشكعة، ط١٢، دار العلم للملايين، لبنان، آذار/ مارس، ٢٠٠٨م.
٣. ادباء العرب في الجاهلية وصدرالإسلام (حياتهم- آثارهم- نقد آثارهم): بطرس البستاني، ط٦، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥٣م.
٤. الإنتماء في الشعر الجاهلي: فاروق احمد أسليم منشورات إتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.
٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبو الفضل السيد محمد مرتضى الحُسيني (ت١٢٠٥هـ)، دار الفكر.
٦. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠.
٧. تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٦٢م.
٨. تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ط٩، دار المعارف، القاهرة.

٩. تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ط١، مكتبة الصفاء، أبو ظبي، مكتبة اليمامة، دمشق، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
١٠.تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ط٨، المكتبة البولسية، بيروت- لبنان.
١١.تاريخ الأدب العربي العصر العباسي، شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة- مصر.
١٢.تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي. العصر العباسي، حسن إبراهيم حسن، ط١٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
١٣. تاريخ الإسلام والمسلمين في العصر الاموي، مجدي فتحي السيد، دار الصحافة للتراث، طنطا، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
١٤.التجديد في الأدب الأندلسي، باقر سماكة، ط١، مطبعة الإيمان، بغداد،١٩٧١م.
١٥.ديوان ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سنده، ط١، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
١٦.ديوان ابن زيدون، شرح: د.عمر فاروق الطبّاع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
١٧.الشعر الجاهلي (نشأته- فنونه- صفاته)، فؤاد البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٧م.
١٨.الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة.
١٩.الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، د.صاحب خليل إبراهيم، (د.ط)، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.
٢٠.عصر المأمون، أحمد فريد رفاعي، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٦هـ/ ١٩٧٢م.
٢١.العرب في العصر الجاهلي، د.ديزيرة سقال، ط١، دار الصداقة العربية، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م.
٢٢. في التراث والشعر واللغة، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
٢٣.لسان العرب، الإمام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م)، ط١، دار صادر بيروت، ١٣٧٤هـ.

٢٤. اللغة واللون، احمد مختار عمر، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٢٥. المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، شكري محمد عياد، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣م.
٢٦. المرأة في الشعر الاموي، فاطمة تجور، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩م.
٢٧. المُعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٢٨. المُعجم الوسيط، مَجمع اللغة العربية، شوقي ضيف، ط٤، مطبعة الشروق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٩. مقومات عمود الشعر، الإسلوبية في النظرية والتطبيق، د.رحمن غركان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤م.
٣٠. مُؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي: د.مكارم الغمري، سلسلة كتب ثقافية، ١٩٩١م.
٣١. موسوعة روائع الشعر العربي،المديح في الشعر العربي سراج الدين محمد، دار راتب الجامعية، لبنان.
٣٢. النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأته وتطوره، د.محمد مرتاض، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.
٣٣. الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، الشيخ أحمد الإسكندري، الشيخ مصطفى عناني، ط١، ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م.
٣٤. مفهوم اللون ودلالاته في الدراسات التاريخية، عياض عبد الرحمن، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٩، ص٦٦.
٣٥. نظرية اللون، يحيى حمودة، د.ط، ١٩٨١م.

الرسائل والأطاريح:

١. الحنين والغربة في الشعر الأندلسي عصر السيادة غرناطة (ت٦٣٥/٨٩٧هـ)، مها روحي إبراهيم الخليلي، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٧م.